أهمية ثغر جدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري
(١٦م)

منذ أن اهتم المسلمون بانشاء ثغر جدة في عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان (١) وهو يكتسب مع مرور الزمن أهمية دينية واقتصادية واستراتيجية الى أن أصبح من اهم الثغور في الجزيرة العربية والبحر الأحمر ، وقد حظى بهذه المكانة لأنه ميناء أم القرى مكة المكرمة ، ومفتاحها الى البحر والعالم ، فاليه يصل حجيج بيت الله الحرام الذين يركبون البحر ، ومنه تزود الحجاز وقلب الجزيرة العربية بالمؤن والبضائع من شتى بقاع العالم ، وغدت لجدة أهمية تجارية على مر الأيام فاصبحت مركزا من مراكز تجارة العالم في العصور الوسطى تلتقي فيها السفن الآتية من الهند وشرق افريقيا بالسفن القادمة من مصر ، فكانت أغلب السفن تفرغ حمولتها في جدة وتعود مسرعة الى الهند قبل فوات موسم الرياح ، ثم تقوم سفن أخرى بحمل هذه البضائع الى السويس حيث تجد طريقها عبر مصر الى أوربا ·

وقد عرف الحكام المسلمون عبر العصور الاسلامية لميناء جدة هذه الأهمية الدينية والاقتصادية فاهتموا بعمارته وتحصينه ·

وفي العصر المملوكي تطلع سلاطين المماليك في مصر الى الاهتمام بحماية الحرمين الشريفين وتأمين سبل الحج والعناية بثغر جدة لأهميته ، فتدخلوا لتوطيد حكمهم في الحجاز ، ففي سنة ٦٦٧هـ حج السلطان الظاهر بيبرس وعين نائبا له بمكة يرجع اليه أشراف مكة في المهمات « ويكون الحل والعقد على يديه (٢) » وهو شمس الدين مروان ، ومن تلك السنة استمرت هذه الولاية بمكة الى آخر دولة قانصوه الغوري ، وكان يطلق على نائب السلطان المملوكي بمكة اسم « باش مكة » أو « باشا الترك » (٣) ·

أما جدة فقد عين المماليك بها حاكما عاما كان يسمى « نائب جدة » ويقيم في مقر يطلق عليه « دار النيابة » أو « فرضة السلطان » (٤) يطل على ميناء جدة مباشرة لكي يشرف منه على الحركة التجارية العالمية ·

وثمة نص ذكره المؤرخ قطب الدين النهروالي في كتابه « الاعلام بأعلام بيت الله الحرام » فيه اشارة الى هاتين الامارتين بمكة وجدة ، وذلك عندما تحدث عن أمر السلطان قايتباي في سنة ٨٨٤هـ بغسل البيت الشريف من داخله ومن خارجه وغسل المطاف وذلك لرؤيا رآها فقال : « فحضر شريف مكة وقاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة وباشا الترك الراكز بمكة الأمير قايتباي اليوسفي والأمير سنقر الجمالي والدوادار الكبير الأمير جاني بك نائب جدة المعمورة ·· وغيرهم ·· وغسلوا الكعبة الشريفة من داخلها ·· ومن خارجها ·· وسائر المطاف » (٥) ·

وفي مطلع القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ظهرت أهمية جدة في الدفاع عن الحرمين الشريفين والبحر الأحمر في وجه الأطماع البرتغالية فعمل سلطان مصر يومئذ الأشرف قانصوه الغوري «٩٠٦ـ٩٢٢هـ) على تقويتها وبناء الاستحكامات اللازمة للدفاع عنها ·

ذلك أن البرتغاليين نجحوا في عامي ١٤٩٨/٩٧م في الالتفاف حول افريقيا مرورا برأس الرجاء الصالح (٦) وتمكنوا بذلك من الالتفاف حول العالم الاسلامي تحدوهم رغبة انتقامية امتزجت فيها الدوافع الاقتصادية بالعوامل الدينية التي كانت تدفعها روح صليبية جارفة جعلت المسيحيين البرتغاليين أكثر تحمسا وشراسة في مطاردة المسلمين والانتقام منهم في عقر

دارهم ، وازدادت هذه الرغبة تأججا وضراوة وعنفا عندما نجحوا في الوصول الى الهند (٧) سنة ١٤٩٨م ٠

وشجعت البابوية في روما هذا المخطط الصليبي لغزو الاسلام في عقر داره ، وتورط بعض البابوات فوصفوا الاسلام في مراسيمهم بأنه طاعون ، وباركت البابوية عملية الانخراط في الحملات البرتغالية ، فكان البابا يعد المشتركين في تلك الحملات بالنجاة من النار يوم الحساب ، وكانت سفنهم تخرج ناشرة أشرعتها وعليها الصلبان مرسومة يرافقها دعاة المسيحية المتعصبون لنشرها (٩) ٠

وبعد أن ثبتت أقدام البرتغاليين في الهند بدأوا يقومون بأشنع أعمال القرصنة في المحيط الهندي ومدخلي البحر الأحمر والخليج العربي ويناوئون التجارة الاسلامية التي كانت في يد الحكومة المصرية ، فعملوا على مهاجمة السفن الاسلامية واغراقها أو الاستيلاء عليها ٠

وكان يراود البرتغاليين أمل يرجون تحقيقه في أسرع وقت وهو الاتصال بملك الحبشة المسيحي للتحالف معه لرسم مخطط لضرب القوى الاسلامية في البحر الأحمر والاستيلاء على (جدة) مركز المقاومة الاسلامية والولوج منها الى مكة لضرب العالم الاسلامي في أغلى مقدساته ٠

ومن ثم تسلل البرتغاليون في مياه البحر الأحمر سنة ١٥٠٥ ، وفي سنة ١٥٠٧م استولوا على جزيرة سوقطرة (١٠) للسيطرة على مدخل البحر الأحمر ٠

وفي غضون ذلك تنبه المماليك في مصر لخطورة الغزو البرتغالي الذي استهدف حرمانهم من التجارة العالمية وبدأ يهددهم في مقدساتهم وأملاكهم ، وتركزت خطتهم تجاه هذا الغزو في تقوية حكمهم في أقاليم البحر الأحمر وتحصين سواحله وعلى الأخص ثغر جدة لأهميته في حماية الأراضي المقدسة الاسلامية ، فأعد الأشرف قانصوه الغوري حملة بحرية بقيادة الأمير حسين الكردي في سنة ٩١١هـ (١٥٠٥م) مهمتها تحصين جدة أولا لتكون على استعداد لصد أي عدوان مفاجيء تتعرض له ثم تقوية ثغور اليمن والتوجه الى الهند بعد تأمين خطوط العودة الى مصر ٠

ويذكر ابن اياس أن جنود حملة حسين الكردي كانوا في مجموعهم من جنود الطبقة الخامسة أي من العساكر التي جددها الغوري في أيامه (١١)

وكانوا يتكونون من المغاربة الذين يرأسهم أميرهم على المسلاتي « باش المغاربة » ومعهم « بعض أولاد الناس وبعض مماليك سلطانية والغالب فيهم مغاربة وعبيد سود رماة وتراكمة وغير ذلك » (١٢) ومعهم فريق من البنائين والنجارين وكثير من العمال لاقامة التحصينات اللازمة كما سنرى فيما يلي ·

وعلى الرغم من أن السبب الرئيسي في اعداد هذه الحملة هو الغزو البرتغالي كما ينص على ذلك ابن اياس وغيره من المؤرخين ، الا أن صاحب كتاب « السلاح والعدة في تاريخ جدة » (١٣) يضيف سببا آخر لهذه الحملة وهو : عمليات السلب والنهب التي قام بها عربان بني ابراهيم (١٤) لحجاج بيت الله الحرام ونهبهم لمكة وجدة ولم يكن حينئذ على جدة سور وعلى الرغم من قرب صاحب كتاب السلاح والعدة من تلك الفترة التاريخية الا أنه يغفل عن الأسباب الرئيسية التي دفعت الغوري الى ارسال هذه الحملة ويجعل سببها الرئيسي هو أعمال السلب والنهب والتخريب التي قام بها عربان بني ابراهيم ومن شايعهم ·

وعلى الرغم من عدم احاطة صاحب « السلاح والعدة » بالظروف والملابسات السياسية والعسكرية التي أحاطت بحملة حسين الكردي الا أنه يعتبر أهم مصدر وصف لنا عملية تحصين جدة وبناء سورها على يد المصريين في عهد قانصوه الغوري كما وصف السور وصفا دقيقا لا نجده في مصدر سواه ·

ونظرا لأهمية هذا الوصف ولأن هذا السور الذي بناه المصريون ومعهم بعض الحجازيين كان من أهم العوامل التي دفعت عن جدة عادية البرتغاليين أكثر من مرة فسنتناول هذا الوصف بشيء من التفصيل فيما يلي :

يذكر الشيخ عبد القادر بن فرج انه بمجرد وصول حسين الكردي وجماعته الى جدة شرع في عمارة السور التي تمت في تسعة أشهر (تمت في ذي الحجة من سنة ٩١٢هـ) بما في ذلك الأبراج العالية ودار النيابة (١٥) في جدة وجامع الميناء ومصلى العيد ·

ومما هو جدير بالذكر أن الشريف بركات شريف مكة ساعد في عملية بناء السور وملحقاته وساعد في نزع ملكية بعض البيوت التي كانت قريبة من السور منها بيت الصابوني وكان في جهة السور من ناحية اليمن ، وبيت الدهمي في جهة الشام ، وصار محل البيوت آثار تدل عليها ، كما حضر

الشريف بركات بنفسه عملية البناء ، وكان في بعض الأيام يقف على العمارة راكبا فرسه « ليحضر لحضوره جميع من في البلد ويعينون بالحمل للمونة الكبير منهم والصغير والغني والفقير والمأمور والأمير » (١٦) ·

وبذلك يتضح لنا أن عملية تحصين جدة شارك فيها مع المصريين الشريف بركات وأهل جدة على كل المستويات ، ولعل هذا هو السبب في براعة العمارة وسرعتها في مدة وجيزة كما يشير الى ذلك عبد القادر ابن فرج ·

وكان ارتفاع السور من الأساس حتى أعلاه (١٢ ذراعا) وطول محيطه من ناحية مكة واليمن والشام ٣٠٠٠ ذراع وعرض جداره أربعة أذرع ، أما الأبراج فكانت ستة أبراج ومحيط كل برج منها ستة عشر ذراعا وارتفاعه من على وجه الأرض خمسة عشر ذراعا ، منها برج شامي تجاه الشمال وآخر يماني تجاه الجنوب وبرجان قبليان تجاه مكة ملاصقان لبابين يسمى أحدهما باب الفتوح وهو الأيمن والآخر يسمى باب النصر وهو الأيسر ، أما البرجان البحريان فقد نزل بهما الغواصون في البحر اثنا عشر ذراعا (١٧) ·

كما كان من تمام هذا العمل حفر خندق محيط بالمدينة من جميع نواحيها ، وبعد اتمام البناء وحفر الخندق زود المماليك المدينة بكثير من المدافع والعتاد الحربي ، وكان جملة ما صرف على عمارة السور وملحقاته (الأبراج ودار النيابة وجامعها ومصلى العيد وحفر الخندق) مائة الف دينار غوري (١٨) ·

وتتضح لنا من عملية بناء سور جدة الحقائق التالية :

أولا : أن الشريف بركات ومعه جم غفير من أهل جدة على كل المستويات « الكبير والصغير والغني منهم والفقير والأمير والمأمور » شاركوا مع المصريين في عملية بناء سور جدة في همة ونشاط ·

ثانيا : أن المصريين هم أول من وضع حجر الأساس (١٩) في الاهتمام بثغر جدة وتقويته في عصر قانصوه الغوري بعد أن أصبح مستهدفا من البرتغاليين ·

ثالثا : أن بناء السور كان قويا بأبراجه العالية وخندقه المحيط به

وتسليحه الامر الذي جعل من جدة صخرة تحطمت عليها آمال البرتغاليين في نهاية العصر المملوكي وبداية العصر العثماني ·

وبعد أن أنجزت الحملة المصرية عملية تحصين جدة توجهت الى الهند وأحرزت انتصارا جزئيا أمام الاسطول البرتغالي في مياه « ديو » في خريف عام ١٥٠٨م ، (٩١٤هـ) بالتعاون مع المسلمين الهنود الا أن البرتغاليين سارعوا في تجميع قوتهم البحرية لمواجهة التحالف المصري الهندي وأحرزوا نصرا حاسما في ٣ من فبراير ١٥٠٩م وهي المعركة المعروفة في التاريخ بمعركة (ديو البحرية) ، تلك المعركة التي أنهت عهدا من السيطرة المصرية على طريق التجارة البحري الى الهند ·

وقد تضاءلت بعد معركة ديو البحرية الأهمية التجارية للبحر الأحمر الى حد بعيد ، تلك الأهمية التي ظل يتمتع بها طوال العصور الوسطى ، وانتقل مركز الثقل منه الى طريق رأس الرجاء الصالح وساحلي أفريقيا الشرقي والغربي ذلك الطريق الذي غدا يزخر بخطوط ملاحية لأول مرة في التاريخ بين أوربا وافريقيا الشرقية والهند وغيرها من بلدان الشرق الأقصى حتى فتح قناة السويس للملاحة الدولية سنة ١٨٦٩م ، وعودة النشاط التجاري الى البحر الأحمر وموانيه من جديد ·

وبعد هذه الهزيمة التي مني بها المصريون في الهند نقل البرتغاليون معركتهم البحرية الى البحر الأحمر وهددوا اليمن والحجاز ومصر فتوغلوا في البحر بقيادة (البوكيرك) وخربوا ميناء عدن في المحرم من سنة ٩١٩هـ (١٥١٣م) وفي أواخر صفر من نفس العام استولوا على جزيرة «كمران (٢٠)» ثم خربوها وتركوها متجهين شمالا قاصدين جدة ، وكانت خطة البوكيرك ترتكز على التقدم نحو ميناء مصوع التابع للحبشة ليتمكن من الاستيلاء على جزر دهلك المواجهة لجدة ثم يعد منها لمهاجمة جدة ، ويمهد منها أيضا لاقامة علاقات تحالف ضد المسلمين مع امبراطور الحبشة للقضاء على قوة مصر في البحر الأحمر ومهاجمة الأماكن المقدسة الاسلامية ·

ولقد حاول البوكيرك مواصلة مشروعه الكبير وهو مهاجمة جدة فاتجه لذلك شمالا ولكنه جوبه بريح صرصر عاتية أجبرته على الرجوع قبل أن يصل الى جدة ، فعاد يباشر القرصنة والتخريب في موانيء البحر الأحمر فأحرق السفن الراسية في ميناء زيلع وعاد الى عدن فضربها بالمدافع نحو أسبوعين (٢١) ·

وكانت القوات المصرية قد عادت أدراجها الى مصر بعد أن ترك حسين الكردي بعضها في جدة وذهب الى ميناء السويس لبناء قوة بحرية يستطيع بها مجابهة الاسطول البرتغالي المتفوق ، واتجه السلطان الغوري الى العثمانيين يطلب مساعدتهم في شراء ما يحتاجه من أخشاب وأدوات لصناعة السفن فأمر السلطان بايزيد الثاني (والد سليم فاتح مصر) بارسال ثلاثين مدفعا وثلاثين ألف سهم وأربعين قنطارا من البارود ، وغير ذلك من عتاد الحرب هدية الى مصر دون مقابل كما أرسل نحو ألفين من البحارة العثمانيين للمساعدة في اعداد الاسطول في ميناء السويس والمشاركة في الحملة البحرية المنتظرة على الهند برئاسة سلمان الريس الذي أطلق عليه ابن اياس « سلمان الرومي » والذي أصبح قبطانا للاسطول المملوكي بعد اعداده .

وبينما كان المصريون يعدون لبناء قوة بحرية في السويس وصلتهم الأخبار بأن البرتغاليين غادروا الهند بقيادة البوكيرك بحملة في فبراير سنة ١٥١٥م ، وتوجهوا الى البحر الأحمر وكان هدفهم من هذه الحملة هو تخريب جدة ومكة ، فأرسل الغوري على الفور قوة بقيادة الأمير حسين الكردي نائب جدة (والذي كان يباشر عملية اعداد الاسطول الكبير بالسويس) (٢٢) . فما كاد حسين الكردي يصل الى جدة حتى قام بتقوية أسوارها ودفاعاتها مرة أخرى ، وجمع بعض الأموال من أهالي جدة لمعاونته في مهمته واضطر الى مصادرة أموال بعض تجار جدة ، كما ألزم الناس للعمل في تحصيناته لجدة ، وعلى الرغم من هذه الظروف الحربية الاستثنائية التي تبيح للقائد جمع الأموال من المواطنين وتجنيدهم في العمل للدفاع عن أوطانهم الا أنه لم يسلم من انتقاد بعض المؤرخين المعاصرين له وسخطهم عليه (٢٣) .

وبينما كانت الحملة البرتغالية في طريقها الى البحر الأحمر لتحقيق غرضها وصلها خبر بقيام ثورة في جزيرة (هرمز) التي سيطر البرتغاليون عليها في مدخل الخليج العربي ، فاتجه البوكيرك اليها ، وما أن سيطر على الأوضاع فيها حتى اشتد به المرض وعاد الى مركزه في الهند حيث توفى بعد وصوله مباشرة ، ونجت (جدة) و (مكة) من التخريب المنتظر مرة أخرى .

وبعد أن أتمت القوات المصرية استعدادها البحري في السويس وجدة خرجت من الشواطىء المصرية وقامت بعملية تحصينات في موانىء البحر الأحمر وخاصة في الثغور اليمنية التي كانت في حاجة الى تحصينات على غرار التحصينات التي أقيمت في جدة من قبل وذلك لاغلاق البحر الأحمر أمام

البرتغاليين وتأمين خط الرجعة للقوات المصرية ، ولكن مما يؤسف له أن حسين الكردي اشتبك بقواته مع أمراء اليمن عندما رفضوا اقامة هذه التحصينات وقام المصريون بمهاجمة السواحل اليمنية بالقوة ، وتطور الصراع حتى انتهى بقتل السلطان « عامر بن عبد الوهاب » سلطان صنعاء واحتل المصريون صنعاء ، واضطرت القوات المصرية في باديء الامر لخوض الحرب مع اليمنيين للدفاع عن أنفسهم أثناء اقامة التحصينات ، ولكن هذه المعارك تطورت تطورا خطيرا أبعد الحملة عن هدفها الأصلي ، وبذلك يصح أن يقال عن هذه الحملة بأنها غرقت في اليمن ومشاكله قبل الوصول الى مياه الهند .

وفي غضون ذلك تنبه العثمانيون لضعف المماليك (الذين وقع على كاهلهم الدفاع عن البحر الأحمر ضد البرتغاليين في الجنوب ومحاربة فرسان القديس (٢٤) يوحنا في البحر المتوسط في الشمال) فبدأ العثمانيون يتدخلون في المنطقة لملء الفراغ العسكري الذي أصبح واضحا بعد أن فشل المماليك أمام الزحف البرتغالي أكثر من مرة ، وأصبح الطريق مفتوحا أمام البرتغاليين لتحقيق هدفهم نحو الأراضي المقدسة الاسلامية ، فبدأ العثمانيون يتدخلون وكان تدخلهم سلميا على نحو ما رأينا بحجة مساعدة المماليك في حربهم ضد البرتغاليين ، وتأكد لهم عن قرب ضعف القوة المملوكية فأعدوا أنفسهم لملء هذا الفراغ .

وفي صفحات ابن اياس اشارات كثيرة الى الآثار السيئة التي نجمت عن استيلاء البرتغاليين على التجارة الشرقية وأعمالهم التخريبية ضد السفن والثغور الاسلامية فيقول ابن اياس في حوادث المحرم من سنة ٩٢٠هـ مانصه : « وكان في تلك الأيام ديوان المفرد وديوان الدولة وديوان الخاص في غاية الانشحاب والتعطيل ، فان بندر الاسكندرية خراب ولم تدخل اليه القطائع (البضائع) في السنة الخالية ، وبندر جدة خراب بسبب تعبث الفرنج (البرتغاليين) على التجار في بحر الهند فلم تدخل المراكب بالبضائع الى بندر جدة نحوا من ست سنوات وكذلك جهة دمياط » (٢٥) .

بذلك انهارت امكانيات مصر الاقتصادية وألقت هذه الحالة الاقتصادية السيئة بظلها على الأوضاع العسكرية المصرية ، فضعفت قوة المماليك العسكرية وتدهورت قدرات مصر الدفاعية ، الأمر الذي أغرى البرتغاليين والعثمانيين بالوثوب على أملاكها ، وقام سباق رهيب بين البرتغاليين من الجنوب والعثمانيين من الشمال لملء هذا الفراغ ، وحاولت كل من الدولتين أن ترث الدولة المملوكية المتهالكة .

وبينما كان البرتغاليون يعملون المرة تلو المرة على التوغل في البحر الأحمر حتى هاجموا جدة في عام ١٥١٧م كان العثمانيون قد نجحوا في خلال عام ١٥١٦م وأوائل عام ١٥١٧م (٩٢٢ ـ ٩١٣هـ) في الاستيلاء على أملاك الدولة المملوكية في الشام ومصر ، ولم يتمكن الغوري من الانتصار في لقائه الأول مع العثمانيين في موقعة (مرج دابق ١٥١٦م) لأنه كان مشغولا بالدفاع عن البحر الأحمر ضد الزحف البرتغالي ، وكانت قواته المتباغضة موزعة في كثير من ثغوره وخاصة في ثغور اليمن والحجاز ، كما كان يقاوم ضربات فرسان القديس يوحنا المتكررة في البحر المتوسط ·

وعندما دخل السلطان سليم القاهرة في المحرم من سنة ٩٢٣هـ وتغلب على مقاومة طومان باي آخر سلاطين المماليك وشنقه على باب زويلة بالقاهرة في ٢١ من ربيع الأول ٩٢٣هـ (١٣ من أبريل ١٥١٧م) (٢٦) أسدل الستار على فترة من أهم فترات التاريخ الاسلامي كانت مليئة بالجهاد والنضال كتب للماليك فيها النصر على الصليبيين والمغول ، ولكنهم أخفقوا في رد عادية البرتغاليين والعثمانيين ·

انضمام الحجاز الى العثمانيين :

لم تكن الدولة العثمانية منعزلة تمام الانعزال عن الحجاز ، فان حجاجها كانوا يأتون كل عام في موسم الحج الى الحرمين الشريفين ، وكان سلاطين آل عثمان يرسلون الهدايا الى الحرمين كل عام ، وكانوا حريصين كل الحرص على ابلاغ شريف مكة بانتصاراتهم في أوربا ، وعندما فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م أرسل الى شريف مكة رسالة بهذه المناسبة يبشره فيها ويطلب منه الدعاء كما أرسل اليه بعض الهدايا من غنائم الفتح (٢٧) ، وفي عام ٨٨٦هـ ، أدى السلطان بايزيد الثاني (ولد سليم فاتح مصر) فريضة الحج وتوثقت عرى المودة بينه وبين شريف مكة ·

وكان العثمانيون يطمحون الى مد نفوذهم الى الحرمين الشريفين وتتوق نفوسهم الى أن ينعتوا بلقب حماة الحرمين الشريفين ، ذلك اللقب الذي اعتز به حكام مصر من المماليك وغيرهم ، وذلك لاعلاء مكانتهم في العالم الاسلامي ، وقد عبر السلطان سليم عن هذا الأمل عقب انتصاره في معركة مرج دابق

على المماليك سنة ٩٢٢هـ ودخوله حلب ، فقد حضر صلاة الجمعة في مسجد حلب وخطب الخطيب باسمه وأغدق عليه لقب « خادم الحرمين الشريفين » وعندما سمع سليم هذا اللقب من خطيب المسجد طرب له ، وأظهر الفرح والسرور بتلقبه بهذا اللقب وخلع على الخطيب خلعا وأحسن اليه احسانا زائدا (٢٨) ·

وعندما أتم السلطان سليم فتح مصر أظهر حسن نواياه تجاه جماعة من الحجازيين كانوا بمصر ابان فتحها ، منهم من مكة الخطيب محيي الدين العراقي الذي أنعم عليه بالانعام الجزيل ، واستقبل قاضي قضاة مكة صلاح الدين محمد بن ظهيرة وكان من المعتقلين في مصر (٢٩) فأكرمه وعظمه وخلع عليه وأحسن اليه ·

ولما أراد سليم أن يجهز جيشا الى الحجاز اتصل قاضي قضاة مكة صلاح الدين بن ظهيرة برجال السلطان سليم وأقنعهم بعدم ارسال هذا الجيش وأن الرأي عنده « ارسال مكتوب الى (شريف مكة) ولا تبدو منه مخالفة أبدا » ولا يحتاج الأمر الى تجهيز جيش ، فأخذ السلطان سليم برأيه ، وكتب صلاح الدين رسالة من طرفه الى الشريف يعرفه فيها بما وقع ويطلب منه ارسال ابنه محمد أبو نمي الى السلطان سليم (٣٠) ·

ونظر شريف مكة الى الظروف والملابسات الحربية والاقتصادية التي كان يعيشها الحجاز ابان الزحف العثماني بعين الخوف من المجهول ، فمن ناحية كان الحجاز يمر بظروف حربية صعبة حيث تعرضت موانيه وعلى الأخص (جدة) لكثير من هجمات البرتغاليين الشرسة التي سبق أن أشرنا اليها، وهدد البرتغاليون بمهاجمة الأراضي المقدسة الاسلامية والعبث بمقدسات المسلمين ، ولم تكن لدى شريف مكة القوات والعتاد التي يستطيع بها صد المعتدين البرتغاليين ·

ومن ناحية أخرى فقد كان الحجاز يعتمد من الناحية الاقتصادية على المخصصات الثابتة التي كانت تاتيه من مصر نظرا لندرة الزراعة به وقلة موارده ، فان دولة المماليك ومن سبقها من الدول الاسلامية التي ضمت الحجاز اليها قد عملت كل منها على رصد المخصصات وحبس الأوقاف بالديار المصرية على سكان الحرمين الشريفين ، فكان الحجاز بذلك يتلقى من مصر سنويا كل ما يحتاجه من غلال الى جانب مرتبات الأشراف والعاملين على خدمة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والتي كانت ترسل سنويا صحبة أمير الحج المصري ·

هذه الظروف الحربية والاقتصادية التي كان يعيشها الحجاز ابان الزحف العثماني هي التي أملت على شريف مكة الشريف بركات قبول السيادة العثمانية ، ورد على رسالة ابن ظهيرة بارسال وفد برياسة ابنه أبو نمي لتقديم الولاء والاستعداد بدخول الحجاز تحت السيادة العثمانية ، وذلك لكي يضمن استمرار تدفق التموين من مصر ، ويضمن وجود قوة اسلامية كبرى تقف أمام الزحف البرتغالي على الأراضي المقدسة الاسلامية ·

واستقبل السلطان سليم وفد الشريف بركات في القاهرة في ١٦ من جمادى الثانية ٩٢٣هـ (٦ من يوليو ١٥١٧م) استقبالا حافلا وقدم أبو نمي الى سليم بعض الهدايا ، وبعض الآثار النبوية الشريفة التي كانت موجودة في مكة والمدينة ثم سلمه مفاتيح الحرمين ، وهكذا تم اقرار شريف مكة بقبول السيادة العثمانية ، ومنحه سليم تفويضا بحكم « مكة المشرفة المنورة المطهرة ونواحيها وضواحيها وتوابعها ولواحقها المعطرات ولكل موضع كان الجناب الكريم حاكما وضابطا فيه بمراسيم السلاطين القديمة » (٣١) ثم أمره بقتل حسين الكردي نائب جدة من طرف المماليك ·

وعقب عودة وفد الشريف الى مكة قرىء التفويض على الأهالي وأمر الشريف بالقبض على حسين الكردي فأخذ مقيدا الى جدة وقتلوه غرقا في ميناء جدة في تلك المياه التي سبق له أن دافع عنها ضد الغزو البرتغالي ، وهكذا شاءت الأقدار لهذا المجاهد أن يختفي في البحر الذي شهد نضاله وكفاحه عن شواطئه منذ عام ٩١١هـ (١٥٠٥م) حتى مقتله سنة ٩٢٣هـ ·

وبذلك دخل الحجاز تحت السيادة العثمانية دخولا سلميا وكان سلطان شريف مكة يمتد الى جميع بلاد الحجاز ، ومن مهامه الرئيسية العمل على تأمين قوافل الحج الوافدة الى الحرمين الشريفين من جميع بقاع العالم الاسلامي ، وكان يعتمد في ذلك على صلاته بالقبائل الضاربة في الحجاز والقريبة من طرق قوافل الحج ، كما يعتمد على عصبيته ونفوذه الديني الواسع ، وكان شريف مكة يتمتع في التشريفات العثمانية بأسمى مقام في صف « الصدر الأعظم » في الآستانة و « الخديوي » في مصر (٣٢) ·

أما ثغر جدة فان السلطان سليم ولى عليه نائبا جديدا بعد مقتل نائبه المملوكي ، وهذا النائب الجديد هو التاجر قاسم الشرواني الذي كان من تجار مكة وسافر قبل الفتح العثماني الى مصر وصادف وجوده دخول السلطان

سليم مصر ، فاتصل قاسم بالسلطان سليم وتقرب اليه بالخدمة فعينه نائبا لجدة ، فوصل اليها وباشر مهام منصبه في تلك السنة (٣٣) .

وجعل العثمانيون امارة جدة تابعة لهم مباشرة يعينون لها نائبا من طرفهم بعيدا عن نفوذ شريف مكة ، وذلك بسبب وضعها الحربي وأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية ، وأبطل العثمانيون منصب باشا مكة ، وتركوا لشريف مكة السلطة على الحجاز ، وجعلوا له استقلالا عن نائب جدة الا في الحالات الضرورية التي يلزم عليه أن يتعاون معه على استتباب الأمن في ربوع الحجاز لتأمين سير قوافل الحج الى الحرمين الشريفين .

وقررت السلطات العثمانية لشريف مكة أن يأخذ نصف محصول ميناء جدة كل عام ، ومن ثم فقد تسبب هذا الأمر في اثارة كثير من المشاحنات بين نائب جدة وشريف مكة ولم تهدأ هذه الحوادث بينهما طوال العصر العثماني ، كما تسببت ثنائية الحكم هذه في خلق جو من الاضطراب والفتن والفوضى لا في جدة ومكة فحسب بل في الحجاز كله (٣٤) .

وهكذا حظيت الدولة العثمانية بشرف حماية الحرمين الشريفين ، وأضاف سلاطين آل عثمان الى ألقابهم لقب « خادم الحرمين الشريفين » وظل هذا اللقب من الامور التي يحافظ عليها سلاطين العثمانيين ، وحافظوا من أجله على بقاء الحرمين الشريفين في حوزتهم ، كما ورثت الدولة العثمانية أيضا نفوذ المماليك في البحر الأحمر بعد الاستيلاء على مصر وضم الحجاز ، وقابلت في الوقت نفسه مشاكل البحر الأحمر التي كانت بين البرتغاليين والمماليك حول السيادة عليه والسيطرة على التجارة الشرقية ، وبرزت أمام العثمانيين بمجرد ظهورهم في المنطقة قضية الدفاع عن البحر الأحمر واصبحت احدى القضايا الملحة التي تحتاج الى عمل حربي حاسم منهم .

وقد أثبتت حوادث الاعتداءات البرتغالية على ثغور البحر الأحمر بسرعتها وتلاحقها صدق ذلك ، فقبل أن يصل نائب جدة الجديد « قاسم الشرواني » .. لمباشرة مهام منصبه كان البرتغاليون قد أعدوا هجوما على جدة في عام ١٥١٧م ، فقد أرسلوا حملة بقيادة نائب الملك في الهند « لوبو سوريز » الذي تولى بعد البوكيرك وكانت هذه الحملة تتكون من أربعين سفينة ومن ألفين من الجنود المسلحين ، وهدف هذه الحملة هو الهجوم على جدة وتدميرها والقضاء على الاسطول المملوكي في البحر الأحمر ، واقامة اتصال مباشر مع الحبشة .

ونظرا لأن هدف هذه الحملة هو جدة فانها لم تتعرض لعدن وخاصة أن أميرها (مرجان) قد أمد الحملة البرتغالية بالمؤن اللازمة لها وببعض المرشدين من بحارة اليمن لارشادها داخل البحر الأحمر للوصول الى جدة بعيدا عن مخاطر الشعب المرجانية ، وعلى الرغم من ذلك فقد فشل البرتغاليون أمام جدة بسبب مناعة سورها وقوة استحكاماتها التي أقامها المماليك من قبل ، كما فوجئوا بتغير السلطة فواجهوا العثمانيين لأول مرة فكان عليهم أن يعودوا أدراجهم كي يعيدوا حساباتهم قبل مجابهة العثمانيين ، وكان الريس سلمان العثماني بعد مقتل والي جدة حسين الكردي قد سيطر على الامور في الثغر ريثما تصله الأوامر العثمانية ووقف أمام الهجوم البرتغالي على جدة ، وعندما انسحب البرتغاليون واصل مطاردة السفن المرتدة عن جدة الى جزيرة كمران ، وتمكنت سفنه من الاستيلاء على سفينة برتغالية وأسر بحارتها وأرسلهم الى استانبول · ووصلت القوات البرتغالية المرتدة الى عدن حيث حصلت على الامدادات اللازمة من أميرها مرجان وعادوا قافلين الى مركزهم في هرمز (٣٥) ·

وكانت هذه الحملة التي هددت جدة والحرمين الشريفين كفيلة بجعل العثمانيين يفكرون بطريقة جدية في حماية البحر الأحمر والأراضي المقدسة الاسلامية من هجمات البرتغاليين المتكررة والتي أخذت تتركز بصورة ملحة على ميناء جدة الاسلامي ولكنهم بعد قليل من وصول نائب جدة الجديد قاموا بسحب الريس سلمان العثماني من جدة ، فعاد الى القاهرة في شعبان سنة ٩٢٣هـ ، ومعه بعض الأسرى من البرتغاليين (٣٦) وكان تعيين التاجر قاسم الشرواني في منصب في تلك الفترة الحرجة من تاريخ المدينة معناه الاسترخاء العسكري في جدة وفي البحر الأحمر الى حين ، وعلى كل فهذا من الامور التي تحتاج الى ايضاح والقاء الضوء على هذه الفترة وخاصة أن حالة الاسترخاء هذه ظلت حتى سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) ·

ولما كان المماليك قد فشلوا في السيطرة على عدن لجعلها المركز الرئيسي للدفاع عن البحر الأحمر ، لذلك ألقت الظروف بثقلها على جدة لتكون مركزا للدفاع عن البحر الأحمر في بداية العصر العثماني ، وأصبح لزاما على العثمانيين اعادة تحصينه وتدعيم دفاعاته التي أقامها حسين الكردي من قبل بما يتلاءم مع الوضع العسكري الجديد ·

بيد أن خطوات العثمانيين ظلت بطيئة في هذا المجال حيث لم يبدأوا

العمل الجدي الا في عام ٩٤٥هـ وكان ذلك على ما يبدو بسبب انشغالهم بكثير من المشاريع الحربية في أوربا وآسيا ، فقد كانوا يعملون على مد نفوذهم في كثير من المناطق الاوروبية منتهزين الحرب الايطالية التي شغلت أوربا في تلك الأثناء (١٥١٥ ـ ١٥٥٩م) كما كانوا يعملون من ناحية أخرى على مد نفوذهم في العراق وفارس لتوحيد العالم الاسلامي ·

وفي عام ١٥٢٠م (٩٢٦هـ) توفى السلطان سليم وتولى بعده ابنه سليمان القانوني الذي جذبته أحداث أوربا وفارس حتى سنة ١٥٣٨م لكن ظلت مشاريع تأمين مدخل البحر الأحمر وتدعيم دفاعاته وأهمها جدة من أهم الامور التي يجب أن يعمل على انجازها العثمانيون ·

وعلى الرغم من أن سياسة الحكومة المركزية في استانبول كانت تعني الاسترخاء العسكري في جبهة البحر الأحمر الا أن والي مصر خاير بك تولى ارسال المعدات العسكرية والقوات اللازمة لتعزيز حامية جدة ، وذلك عندما كانت تصل الأخبار الى مصر بتحركات عسكرية للسفن البرتغالية في البحر الأحمر قريبا من ميناء جدة ·

ففي شهر جمادى الآخرة سنة ٩٢٤هـ أخذ خاير بك في تجهيز قوة عسكرية على وجه السرعة الى جدة ، وذلك عندما وصلته الأخبار من الحجاز على يد رسول من شريف مكة بأن سفن البرتغاليين تعبث بالبحر الأحمر قريبا من ميناء جدة وتقوم بقطع الطريق على المسافرين مما يتسبب في الاضرار بوضع جدة الاقتصادي ، وذكر الشريف بركات في رسالته الى خاير بك أنه يخشى على ثغر جدة من أن تدهمه السفن البرتغالية على حين غفلة فبادر خاير بك بالنزول الى ميدان الرميلة بجانب قلعة القاهرة وقام باستعراض بعض القوات العسكرية ثم عين منها فرقة للسفر على وجه السرعة لنجدة جدة ، وكانت هذه الفرقة تتكون من نحو ٢٥٠ جنديا من « المماليك الجراكسة وأولاد الناس والمغاربة وغيرهم » وكان من بينهم مجموعة من البحارة المغاربة (٣٧) ·

وفي العام التالي (رمضان ٩٢٥هـ) وصلت الأخبار الى القاهرة بأن البحرية البرتغالية قامت بتحركات جديدة حول جدة ، فأمر خاير بك بارسال قوة عسكرية أخرى الى جدة مكونة من ٣٠٠ جندي من المماليك والأتراك وعين نائبا جديدا لجدة عندما وصلته الأخبار بأن قاسم الشرواني نائب جدة السابق جمع كثيرا من الأموال المتحصلة من الميناء واستولى على كثير من الأسلحة وهرب بها بحرا الى ميناء (هرمز) ·

وكان نائب جدة الجديد هو (حسين الكخيا أغات الكمولية) أو حسين الرومي كما تسميه بعض المراجع ، وقد أمره خاير بك بأن يتوجه على رأس القوة العسكرية الجديدة صحبة قافلة الحج المصرية ، كما أصدر خاير بك اليه أمرا بأن يضم اليه ولاية السواحل اليمنية الى جانب ولاية جدة .

ويبدو أن نائب جدة الهارب قاسم الشرواني لم يتمكن من الهرب فقد قبضت عليه القوات العسكرية وأرسلته الى القاهرة حيث سجنه خاير بك حتى ترى فيه سلطات استانبول رأيها ، فأرسل السلطان سليم باستدعائه الى استانبول في رجب سنة ٩٢٦ (٣٨) .

ولم تكد تنتهي فترة وجيزة من ارسال نائب جدة حسين الرومي حتى شب خلاف بينه وبين شريف مكة الشريف بركات أدى الى نشوب معركة حربية بين القوات العثمانية المرابطة بجدة بقيادة حسين الرومي وبين الشريف بركات وقواته تسببت في وقوع كثير من القتلى من جنود الشريف بركات كما خرج نائب جدة جريحا من المعركة (٣٩) .

وتعتبر تولية حسين الرومي (٤٠) نائبا على جدة بداية لمرحلة جديدة في سياسة العثمانيين في البحر الأحمر ، وذلك لأنهم جعلوا سلطته تمتد الى اليمن الى جانب نيابته لجدة ، ومعنى هذا بداية العمل الجدي في مدخل البحر الأحمر وعلى السواحل اليمنية ، وترتب على هذا أن زحف حسين الرومي من جدة الى اليمن ولكن لم يسلم له المماليك بسهولة وعارضه اسكندر الجركسي ، وفي غضون ذلك وصل حسين الرومي في اليمن خبر وفاة السلطان سليم فرجع الى قاعدته جدة من غير قتال حتى يتضح الموقف في عهد السلطان الجديد (٤١) .

وفي غضون ذلك ظهر سلمان الريس في سماء جدة من جديد فقد فر من مصر بعد عصيان واليها أحمد باشا واتصل بحسين الرومي في جدة وحسن اليه الذهاب الى اليمن من جديد ولما توجه الى اليمن وأحرز حسين الرومي معه بعض الانتصارات والتف اليمنيون حول حسين الرومي (٤٢) خاف سلمان على نفسه وعاد الى مصر مرة أخرى وأغرى واليها ابراهيم باشا بارسال عساكر معه ليدفع بها البرتغاليين كما ادعى فجهزه بنحو أربعة آلاف مقاتل توجه بهم الى الحجاز أولا .

ومما هو جدير بالذكر أن قوات سلمان هذه كانت مصدر شقاء لأهل

جدة ومكة لأنهم كانوا في مجموعهم من الصناع والأساكفة وقطاع الطرق والجهال وغيرهم من أراذل الناس ، فلما وصل سلمان الى جدة سنة ٩٣٢هـ بهذه القوات عاثوا فيها فسادا وصاروا يتعرضون للعرب وينهبون الأسواق فانقطعت المسيرة عن مكة فحصل فيها قحط شديد وغلاء عظيم بحيث صار تاريخا عند أهل جدة ومكة فكانوا يقولون : « سنة سلمان » (٤٣) وامتدت يد سلمان الى محصول جدة فأخذه كله واستولى عليه لنفسه وكان في هذه السنة (٩٣٢هـ) تسعون ألف دينار ذهبا ، ووافقه على ذلك نائب جدة الجديد وهو علي بك جاويش وكان هذا المحصول نصفه للسلطان ونصفه لشريف مكة .

وفي غضون ذلك أضحت جدة المركز الرئيسي لمحاولات العثمانيين في فرض نفوذهم الفعلي في اليمن لتأمين مدخل البحر الأحمر .

وفي سنة ٩٣١هـ (١٥٢٥م) عين العثمانيون سليمان باشا الخادم (٤٤) واليا على مصر ، فأمره السلطان سليمان سنة ٩٣٧هـ ببناء ثمانين سفينة في السويس من مختلف الأنواع والأحجام وزوده بالأخشاب والمواد اللازمة لبناء السفن من استانبول ، وفي ١٥ من المحرم ٩٤٥هـ قام بحملته الشهيرة الى اليمن وقد تمكنت هذه الحملة من السيطرة الكاملة على موانيء اليمن من جيزان شمالا حتى عدن جنوبا ، أما جهات اليمن الداخلية فقد ظلت تحت حكم الزيديين بزعامة الامام شرف الدين .

بيد أن سليمان الخادم فشل في حملته على الهند ولم يستطع أن يجابه القوات البرتغالية هناك ، وبعد فشله في الهند عاد منها وتلكأ في طريق عودته الى استانبول خوفا من عواقب الامور المرتقبة ومحاولة منه لتغطية فشله لدى سلطات الباب العالي فبقي في الحجاز أكثر من شهرين (من ذو القعدة ٩٤٥هـ حتى المحرم سنة ٩٤٦هـ) ثم قضى نحو خمسة أشهر أخرى في مصر ، عمل خلالها على نشر الدعاية الكاذبة حول انتصاره المزعوم على البرتغاليين .

وقد بقيت جدة في هذه الفترة ومابعدها مهملة بدون نائب حتى سنة ٩٤٩هـ .

وبعد فشل حملة سليمان باشا الخادم على الهند لم يفكر العثمانيون في سياسة هجومية ضد البرتغاليين وظلوا ينهجون سياسة دفاعية قوامها السيطرة على البحر الأحمر واغلاقه ، كما ترتب على هذه الهزيمة أيضا أن قام البرتغاليون بشن هجوم كبير في سنة ٩٤٨هـ على البحر الأحمر هدفه

تحطيم الاسطول العثماني في ميناء السويس وكانت هذه الحملة بقيادة نائب الملك في الهند وبلغ عدد سفنها أكثر من ثمانين سفينة ، وقام البرتغاليون بمهاجمة ميناء سواكن وجزر دهلك وخربوها وأسروا بعض سكانها ، كما هاجموا أيضا بعض السفن الشراعية الصغيرة في القصير والطور غير أنهم لم يجرءوا على مهاجمة الاسطول العثماني في السويس ولاذوا بالفرار (٤٥) عائدين الى الموانيء الحبشية التي أضحت قاعدة لهم .

وقد تعرض ميناء جدة لعملية تخريب أثناء مرور الحملة البرتغالية في طريقها الى السويس ، وتنبه شريف مكة أبو نمي للخطر المحدق بجدة في غيبة نائبها فترك مكة في موسم الحج وتوجه الى جدة في جيش كبير جمعه من أهل مكة والقبائل المجاورة لها وأمر المنادي بالنداء في مكة وضواحيها : « من صحبنا فله أجر الجهاد وعلينا السلاح والنفقة » (٤٦) .

واجتهد الشريف أبو نمي في تلك الفترة الحرجة بجمع المؤن لقواته من جميع الأطراف فكانوا يحضرون أنواع الطعام الى جدة بأغلى ثمن وذلك لأن جدة مواردها كانت تأتي من البحر فلما حاصرها الاسطول البرتغالي اعتمد الشريف في تزويد قواته بها على المناطق الداخلية الفقيرة ، وعزت الأقوات بها وغلا ثمنها و « فرغت الحبوب .. فاقبلوا على نحر الابل فكانوا ينحرون لكل مائة نفس بدنة فاستمر ذلك مدة » وتحمس الشريف لعملية الاستمرار في تزويد قواته حتى قال : « اني نويت أن أنحر ما أملكه ويملكه أولادي وأحفادي فاذا نفذت الابل نحرت الخيل ثم كل حيوان يجوز أكله (٤٧) .

ورفض الشريف أن يغادر جدة في هذه الظروف لمقابلة أمراء قوافل الحج على العادة ، وكلف ابنه أحمد أن يقابل أمراء الحج ويلبس الخلع الواردة اليه ويحج بالناس على عادة أجداده نيابة عن والده ، وبعد اتمام مناسك الحج توجه اليه أمراء الحج بجدة لالباسه الخلع فوجده شاكي السلاح لابسا درعه على هيئة المقاتل وأمر الشريف بأن تضرب المدفعية تحية لقدوم أمراء الحج عليه ، وكان من نتيجة هذا الموقف الجاد لشريف مكة في الاهتمام بالدفاع عن جدة أن أمر له السلطان سليمان بنصف « معلوم جدة » اي محصول مينائها وذلك بعد أن تعدى عليه نواب جدة في بعض السنين ، وانعم عليه بكثير من المنح والهدايا .

وترتب على هذا الهجوم البرتغالي الشامل للبحر الأحمر أن فكر

العثمانيون جديا في اغلاقه في وجه البرتغاليين وقطع الاتصال بين البرتغاليين والأحباش ذلك الاتصال الذي أفادت منه البحرية البرتغالية حيث ضمنت مرافىء آمنة في البحر وضمنت تزويدا لسفنها وجنودها ، ولعبت الوشيجة الدينية بين الأحباش والبرتغاليين دورا هاما في توطيد العلاقات الودية بين الطرفين حتى صارت تحالفا يضر بأوضاع البحر الأحمر الأمنية بالنسبة للمسلمين .

ونشطت السفن العثمانية في حصار السواحل الحبشية وأخذت تطوف في دوريات منتظمة في البحر الأحمر حتى جعلت عملية الاتصال بين الأحباش والبرتغاليين نوعا من المغامرة ، كما بدا العثمانيون يدعمون قواعدهم البحرية في اليمن (٤٨) .

وهكذا يمكن القول بأنه اذا كانت حملة (لوبو سوريز) على جدة عام ٩٢٣هـ (١٥١٧م) هي التي وجهت أنظار العثمانيين الى الخطر البرتغالي بعد فتحهم لمصر مباشرة ، فان حملة سنة ٩٤٨هـ (١٥٤١م) البرتغالية هي التي دفعت العثمانيين الى التفكير في اغلاق البحر الأحمر أمام البحرية الأوروبية بصفة عامة والبحرية البرتغالية بصفة خاصة وقد نجح العثمانيون في هذا المجال الى حد كبير .

وعندما تمكن العثمانيون من اغلاق البحر الأحمر أصبحوا يحافظون على تدعيم وجودهم العسكري في عدن من آن لآخر فقد أصبحت عدن مركزا لخط الدفاع الأول عن الحرمين الشريفين بينما أضحت جدة في هذه الفترة مركزا لخط الدفاع الثاني عن الحرمين ، وقد اتضح هذا من رسالة وجهها السلطان سليم الثاني (٩٧٤ ـ ٩٨٢هـ) الى قائده سنان باشا الذي وجهه لاعادة فتح اليمن في سنة ١٥٦٩م (٩٧٧هـ) وقد جاء في هذه الرسالة : « ان استردادنا لمملكة اليمن وان كان ذلك مما يتعين علينا لأنها ميراث أبينا المرحوم المقدس ، لكن جل قصدنا من ذلك انما هو حفظ ثغر عدن صونا للحرمين الشريفين على الكفار الملاعين (٤٩) .

اضافة جدة الى ولاية الحبش :

واصل العثمانيون تدعيم وجودهم العسكري على الشاطىء الافريقي المقابل ولسواحل اليمن ، واستمروا في هذا الصدد حتى هاجموا الحبشة في

عقر دارها بعد نجاح عملية الحصار البحري عليها وذلك لكي يكملوا جهودهم البحرية بجهود حربية داخل الحبشة نفسها لمطاردة البرتغاليين هناك ·

وكان نفوذ العثمانيين منذ البداية لا يتعدى حدود نيابة سواكن وزيلع اللذين ورثهما العثمانيون عن المماليك بعد استيلائهم على مصر ، وكان (أزدمر باشا) أول من لمس أهمية السواحل الحبشية بالنسبة للسيطرة على البحر الأحمر وذلك بفضل الفترة التي قضاها واليا على اليمن من سنة ٩٥٦هـ حتى عزل سنة ٩٦٢هـ (١٥٤٩ ـ ١٥٥٥م) فقدم مشروعا عقب عزله من ولاية اليمن الى السلطان سليمان القانوني يقضي بارسال حملة لتدعيم النفوذ العثماني على ساحل الحبشة وتوسيع مداه فأرسل السلطان الى مصر لتجهيز جيش بها لهذا الغرض ·

وتم اعداد جيش في مصر قوامه ثلاثة آلاف جندي زحف به أزدمر باشا الى الحبشة عن طريق صعيد مصر ، ونجح أزدمر في السيطرة على بعض جهات النوبة ، واستولى على بعض الأقاليم الساحلية حول « سواكن » واتم بذلك تكوين ما سمي : « ولاية الحبش » واصبح أزدمر باشا أول وال لهذه الولاية حتى توفى بها سنة ٩٦٧هـ (١٥٥٩م) وكانت من قبله يتوجه اليها الأمناء من مصر ، وقد خلف أزدمر في ولاية الحبش هذه ابنه عثمان (٥٠) وكانت هذه الولاية تضم المناطق الساحلية حول سواكن ومصوع ·

وقد ربط العثمانيون بين ولاية الحبش وثغر جدة الاسلامي في ادارة واحدة فأضافوا ثغر جدة الى ولاية الحبش (٥١) وقد أرادت الدولة العثمانية بهذا الاجراء الاداري تدعيم متابعة الدوريات البحرية في البحر الأحمر بين الشاطىء العربي والشاطىء الافريقي لاحكام السيطرة على مياه هذا البحر ·

ولما أصبح طريق البحر أمنا على النحو السالف غدت الأقوات المجهزة الى مكة والمدينة ترد عن طريق البحر ، فيذكر مؤرخ قافلة الحج المصرية في هذه الفترة وهو عبد القادر بن محمد الجزيري أن الأحمال المصاحبة لقافلة الحج المصرية كانت تبحر سنة ٩٦٠هـ من ميناء السويس الى مينائي جدة وينبع ، ولعل من المفيد أن نذكر أن هذه الأحمال كانت في سنة ٩٥١هـ نحو ٢٠٣٩٫٥ حملا وفي سنة ٩٥٢هـ كانت ٢٠٣٧٫٥ حملا ، ولعل من المفيد ايضا أن نذكر أنواعها فيما يلي :

عـدد		نوعه
٣٥٠	حملا	من الدقيق المحزوم
١٨٠	حملا	من البقسمات المنشف (وزن كل حمل ٦٥٠ رطلا صافيا)
٢٠	حملا	من الأرز المحزوم (كل حمل اردبان وربع اردب)
٥	أحمال	من الكشك (كل حمل أربعة أرادب)
٥	أحمال	من البرغل (كل حمل أربعة أرادب)
٥	أحمال	من الباسلا (كل حمل كضريبة الأرز في المقدار)
١٠	أحمال	من الجبن الحالوم (عبارة عن ٦٠ قنطارا في أقفاص مغلقة) ٠
١٢	حملا	من العسل (عبارة عن ٦٠ قنطارا في مزاود مغلقة)
٥٠٠	حمل	من القفف كقرب السقائين ٠
٤	شمعات	(زنتها أربعة قناطير برسم الكعبة شمعتان وبرسم الحجرة الشريفة شمعتان) ٠
١	حملا واحدا	من السلب الليف يحتاج اليه في مكة
٦	قناطير	من الزيت السكندري معبأة في زلعتين ٠
١٥٠	اردبا	من الشعير المغربل ٠
٣٩٠٠	اردبا	من الفول الصحيح المغربل ٠

وكانت هذه الأقوات تقسم أيام المماليك بين جدة وينبع لكل بندر منهما النصف بالسوية ، ولما كان احتياج مكة أكثر من احتياج المدينة وزعت ابان العصر العثماني الثلث لينبع والثلثين لجدة وهذا هو الذي كان معمولا به سنة ٩٦٠هـ ٠

وكانت هذه الأقوات تفرغ في ثغر جدة وتوضع في مخازن (حواصل وشون) كانت موجودة في الميناء لوضع هذه الأقوات وغيرها من البضائع لأمراء

الحج والتجار بغير أجرة ولكن شريف مكة في العصر العثماني وضع يده على هذه المخازن والشون وبناها بيتا له يسكنه زمن الموسم الهندي كما يقول الجزيري ، وفي سنة ٩٦٠هـ احتاج أمير الحج الى موضع بالميناء توضع فيه هذه الأحمال ريثما تنقل بدورها الى مكة ، فوضعها في فضاء كبير (حوش) خاص بجماعة من الأشراف على مقربة من الميناء بغير أجرة ، وبمضي الزمن تظلم هؤلاء حتى عين لهم أمير الحج أجرة في مقابل ذلك .

وكان على شريف مكة بعد ذلك أن ينقل منها الى مكة حمولة ألف جمل من غير أجرة وماعدا ذلك اما أن ينقله أمير الحج على جماله اذا حضر أو يجهز له شريف مكة جمالا بالأجرة تنقله الى مكة ، وأما أمير ينبع فليس عليه سوى احضار الجمال فقط وأما أجرتها فعلى أمير الحج لكل جمل نصفان من الفضة (٥٢) .

الخلاصة :

نستطيع من هذه الدراسة السريعة أن نبين أهمية هذه المرحلة من تاريخ جدة فيما يلي :

١ ـ في مطلع القرن العاشر الهجري أصبحت جدة غرضا مستهدفا للاستعمار البرتغالي بعد أن ضعفت القوى الاسلامية في المنطقة وظهرت أهميتها في الدفاع عن مكة حتى أصبحت رباطا للمجاهدين وأفتى علماء المسلمين بأنها أهم رباط في الاسلام فقالوا : « ينبغي لمن دخل هذا الثغر المبارك أن ينوي الرباط والجهاد والذب عن بيت الله العتيق ويصحب معه شيئا لدفع أهل الكفر والعناد » وقالوا بأن ثغر جدة أفضل الثغور لاضافته الى بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمنا من كل محذور ، وأن فضل مرابطيه على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان في سائر الأزمان والدهور ، ويغفر الله للناظر منه مد بصره مما يلي البلد ، ورووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : «يأتي على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جدة» (٥٣) .

٢ـ أن المماليك على أيام السلطان قانصوه الغوري هم أول من رسم سياسة حربية دفاعية لثغر جدة الاسلامي بما يتناسب مع أهمية مكة في قلوب المسلمين في جميع بقاع العالم الاسلامي ، فحصنوها بكل وسيلة وبنوا

سورها العظيم وحفروا حوله خندقا كبيرا وزودوها بالأسلحة والمرابطين للدفاع عنها في أية لحظة طارئة ، فجعلوا منها بذلك مركزا لخط الدفاع الثاني بعد عدن للدفاع عن الحرمين الشريفين ضد الهجمات البرتغالية ، كما جعلوا منها مركزا دفاعيا متقدما للدفاع عن الأراضي المصرية ٠

٣ ـ عندما ورث العثمانيون أملاك المماليك في المنطقة سنة ٩٢٣هـ ساروا على هدى الخطط المملوكية في الدفاع عن البحر الأحمر والاهتمام بثغر جدة بيد أنهم أبطأوا في أعمالهم الحربية حتى عام ١٥٣٨ (٩٤٥هـ) ففي تلك السنة تمت لهم السيطرة على سواحل اليمن وأرسلوا حملة الى الهند بقيادة سليمان الخادم لم يتمكن من عمل شيء أمام النفوذ البرتغالي الذي تمكن من تجارة الهند والسيطرة على البحار الشرقية ٠

٤ ـ بعد عام ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) كانت سياسة العثمانيين دفاعية في البحر الأحمر ولم يفكروا في اجتيازه الى الهند لمنافسة النشاط التجاري البرتغالي أو غيره من نشاطات الدول الاستعمارية الغربية الاخرى التي بدأت تظهر في مياه البحار الشرقية ٠

٥ ـ بيد أنهم استطاعوا (بعد سيطرتهم على عدن وغيرها من موانيء البحر الأحمر) اغلاق البحر الأحمر أمام السفن الاستعمارية وجعلوه بحيرة اسلامية مغلقة بحجة أنه يطل على الأماكن المقدسة الاسلامية ، فكان على مثل هذه السفن أن تفرغ حمولتها في موانيء اليمن الجنوبية وتقوم السفن الاسلامية بحمل هذه التجارة الى داخل البحر الأحمر ، وجعلوا من السواحل اليمنية قاعدة لغلق البحر الأحمر فقط ولم تعد نقطة انطلاق لحملات كبيرة الى الهند أو الى البحار الشرقية ، وتجنب البرتغاليون اثارة الدولة العثمانية منذ ظهر نفوذها في البحر الأحمر فأصبح نشاطهم فيه محددا خوفا من أن توجه الدولة العثمانية نشاطها الحربي الى الهند ، وخاصة أن البرتغاليين كانوا يدركون مدى قوة الدولة العثمانية في ذلك الحين ، وذلك باستثناء بعض حملاتهم مثل حملة سنة ٩٤٩هـ التي كانت ردا على حملة العثمانيين بقيادة سليمان باشا الخادم سنة ٩٤٥هـ ٠

٦ ـ عندما تم للعثمانيين السيطرة على سواحل الحبشة في البحر الأحمر وأنشأوا منها ولاية كانت تسمى بولاية الحبش قاعدتها سواكن

(٩٦٢ ـ ٩٦٧هـ) ربطوا بين هذه الولاية وثغر جدة الاسلامي في ادارة واحدة فأضافوا ثغر جدة الى ولاية الحبش فكأنما كانت مهمة هذه الولاية هي متابعة الدوريات البحرية في البحر الأحمر بين الشاطيء العربي والشاطيء الافريقي لاحكام السيطرة على مياه هذا البحر ٠

دكتور
فائق بكر الصواف
أستاذ التاريخ الحديث المساعد
ورئيس قسم التاريخ بكلية
الشريعة والدراسات الاسلامية
جامعة الملك عبد العزيز ـ مكة المكرمة

دكتور
مصطفى محمد محمد رمضان
أستاذ التاريخ الحديث المساعد
بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية
جامعة الملك عبد العزيز ـ مكة المكرمة

* * *

المصـــادر

---

١ ـ يذهب بعض المؤرخين الى ان جدة كانت قبل ذلك ثغرا معتمدا على ماذكره ابن جبير في رحلته من أنه رأى أثر سور محلق بها ، وماذكره ابن فهد في كتابه : « اتحاف الورى باخبار أم القرى » من أن بجدة أثر رسوم قديمة تدل على قدم اختطاطها وأنها كانت مدينة كبيرة زمن سيطرة الفرس وان سلمان الفارسي رضي الله عنه وأهله سكنوا فيها لأنهم كانوا قوما تجارا وهم الذين بنوا سورها الأول وكان ماء البحر يدور حولها وهي يومئذ شبه جزيرة وسط لجة البحر ٠

أنظر : عبد القادر أحمد بن فرج ، « السلاح والعدة في تاريخ جدة » مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم ٢٨ تاريخ دهلوي ص ٨ ٠

وانظر أيضا : أحمد الضراوي ، الجواهر المعدة في تاريخ جدة ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم ٢٧ تاريخ دهلوي ، ص ٧ ـ ٨ ٠

٢ ـ انظر : عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الجزيري ، درر الفوائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، طبعة المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٤هـ ، ص ٢٨٣ ٠

٣ ـ بطل منصب « باش مكة » منذ الفتح العثماني ، وصارت بعض اختصاصاته يقوم بها نائب جدة كما سيأتي بيان ذلك ٠

٤ انظر : عبد القادر بن فرج ، السلاح والعدة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١ ٠

٥ ـ انظر : قطب الدين النهروالي ، الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، على هامش كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، طبعة المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣٠٥هـ ص ١٥٣ ٠

٦ ـ رأس الرجاء الصالح كان اسمه قبل هذه التسمية « رأس العواصف » وذلك لكثرة ما به من عواصف ، ولكن ملك البرتغال أطلق عليه « رأس الرجاء الصالح » وذلك بعد أن نجح البرتغاليون في اجتيازه ، لأنه فتح باب الرجاء والأمل أمامهم في الوصول الى الهند .

انظر : يحيى بن الحسين ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، القسم الثاني ص ٦٣٠ هامش ٤ .

٧ ـ نجح البرتغاليون بقيادة فاسكودا جاما في الوصول الى الهند سنة ١٤٩٨م ، بفضل رئيس البحر الملاح أحمد بن ماجد الذي أرشدهم الى الطريق الصحيح ، وابن ماجد له مؤلفات قيمة في الملاحة بعضها في المكتبة الأهلية في باريس وبعضها في مكتبة لينتجراد ، وغيرهما ، وقد نشر بعض هذه المؤلفات وعلق عليها المستشرق الفرنسي جبرييل فران والمستشرق الروسي « تيودور شوموفسكي » وأيدوا جميعا ما ذكره قطب الدين النهروالي في كتابه « البرق اليماني » من أن فاسكودا جاما لم يتمكن من الوصول الى الهند الا بفضل أحمد بن ماجد الملاح الذي صاحبهم في الوصول الى الهند مرشدا لهم .

انظر : قطب الدين النهروالي ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، طبعة دار اليمامة بالرياض ص ١٨ ـ ١٩ ويحيى بن الحسين ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، القسم الثاني ص ٦٣٠ ـ ٦٣١ هامش ٥ ، و د. أنور عبد العليم « الفوائد في أصول علم البحار والقواعد » لأحمد بن ماجد ، بحث نشر في مجلة تراث الانسانية ، المجلد الخامس عدد ٤ ض ٢٧٤ ، وكذلك لنفس المؤلف كتاب : ابن ماجد الملاح من سلسلة أعلام العرب ، رقم ٦٣ .

١٨ ـ انظر : د. عبد العزيز الشناوي ، أوربا في مطلع العصور الحديثة ، الطبعة الاولى ، القاهرة سنة ١٩٦٩ ، الجزء الأول ص ٩٤ .

٩ ـ عبر عمانويل ملك البرتغال (١٤٩٥ ـ ١٥٢١م) عن أغراض الحملة الاولى في خطبة طويلة جاء فيها : « أن الغرض من اكتشاف الطريق البحري الى الهند هو نشر المسيحية والحصول على ثروات الشرق » .

انظر : د. السيد مصطفى سالم الفتح العثماني الأول لليمن ، الطبعة الثانية ، من منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة سنة ١٩٧٤ ص ٤٦ ـ ٤٧ .

١٠ ـ جزيرة سوقطرة أو (سقطرة) تقع بالقرب من الساحل الجنوبي للجزيرة العربية الى الشرق من عدن ، وهي جزيرة جبلية وعرة قليلة السكان تنتشر حولها الشعب المرجانية ولكن لها أهمية استراتيجية لمن يريد التحكم في مدخل البحر الأحمر .

١١ ـ انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة (١٩٦٠ ـ ١٩٦٣) الجزء الخامس ص ٢٠٣ .

١٢ ـ المصدر السابق ، ج٤ ص ٨٤ ـ ٨٥ .

١٣ ـ مؤلف كتاب السلاح والعدة في تاريخ جدة ، هو الشيخ عبد القادر بن احمد ابن فرج الشافعي من أهل جدة وخطيب مسجدها ، ولد بها ونشا وكانت وفاته في سنة ١٠١٠هـ وعاصر بداية الفتح العثماني .

انظر : مجلة المنهل المجلد السابع ص ٤٤٤ والاعلام للزركلي ج ٤ ص ١٦٢ ، وخلاصة الأثر للمحبي ج٢ ص ٤٣٥ .

١٤ ـ بنو ابراهيم أشهر القبائل التي كانت تسكن يومئذ بين ينبع ومكة ، وكانت السلطات المصرية توكل اليهم حراسة قافلة الحج المصرية في بعض مراحل الطريق وفيما بين سنة ٩٠٧ ، وسنة ٩١١هـ قام أعراب بني ابراهيم بكثير من أعمال السلب والنهب للحجاج بيت الله الحرام متضامنين مع أمير ينبع يحيى بن سبع واشتد أمرهم في سنة ٩١١هـ فامر الغوري بايقاف عملية الحج في هذه السنة .

١٥ ـ كان يطلق على دار النيابة التي هي مقر نائب جدة « فرضة السلطان » .

١٦ ـ انظر : عبد القادر بن فرج ، السلاح والعدة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ ـ ٢٢ .

١٧ ـ نص الشيخ عبد القادر بن فرج على أن هذا الذراع هو ذراع العمل واضاف انه أي ذراع العمل هذا ذراع ونصف بذراع النجار ، وبالرجوع الى علي مبارك في خططه وهو أهم مصدر تعرض لتقدير الأطوال تبين لنا أن ذراع النجار التي أشار اليها بن فرج تبلغ ٧٧ر٥ سم فتكون ذراع العمل التي قدر بها ابن فرج أبعاد سور جدة هي : ٧٧ر٥ سم × ١ر٥ = ١١٦ر٢٥ سنتيمتر .

١٨ ـ انظر عبد القادر بن فرج ، السلاح والعدة ، ص ٢٢ .

١٩ ـ انظر : أحمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، القاهرة سنة ١٣٠٥هـ ص ٥١ .

٢٠ ـ « كمران » جزيرة بالبحر الأحمر تجاه زبيد باليمن وهي حصن لمن ملك تهامة اليمن (ياقوت ـ معجم البلدان) كما أنها محطة بحرية هامة بين عدن وجدة .

٢١ ـ انظر : د. السيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ٧١ ـ ٧٤ .

٢٢ ـ انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ .

٢٣ ـ انظر : قطب الدين النهروالي ، الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، ص ١٦٥ ـ ١٦٧ .

٢٤ ـ كان فرسان القديس يوحنا يسيطرون على بعض الجزر في شرقي البحر المتوسط ويتمركزون في جزيرة رودس وكانوا يشنون الهجمات المتوالية على الموانيء الاسلامية وخاصة المصرية ، وقاموا بكثير من أعمال القرصنة البحرية في مواجهة السفن الاسلامية ، وكانوا يعدون هذه الأعمال العدوانية من قبيل الجهاد الديني وظلوا في جزيرة رودس حتى أجلاهم السلطان سليمان القانوني عنها سنة ١٥٢٢م الى غرب البحر المتوسط وتمركزوا في جزيرة مالطة الى أن قضى على نفوذهم بونابرت وهو في طريقه الى مصر سنة ١٧٩٨م .

انظر : الهجمات المتكررة لهؤلاء القراصنة على ثغور مصر في كتاب ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج٤ ص ١٤٥ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٢٠ .

٢٥ ـ انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج٤ ص ٣٥٩ .

٢٦ ـ محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ص ٧٥ ـ ٧٦ .

٢ ـ انظر ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .

٢٨ ـ انظر : قطب الدين النهروالي ، الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

٢٩ ـ كان السلطان الغوري قد طلب من قاضي قضاة مكة ابن ظهيرة عشرة الاف دينار فعجز القاضي عن سدادها فامر الغوري بالقبض عليه وحمله الى مصر واعتقله بها ، وعقب هزيمة الغوري في موقعة مرج دابق أخرجه طومان باي من السجن وظل في مصر حتى قابل السلطان سليم .

انظر : أحمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، ص ٥٠ .

٣٠ ـ المصدر السابق نفس المكان .

٣١ ـ انظر : نص الرسالة التي أرسلها السلطان سليم للشريف ، وقد ترجمها الى العربية الدكتور احمد فؤاد متولي ونشرها في احدث كتاب نشر عن « الفتح العثماني للشام ومصر » بالقاهرة سنة ١٩٧٦م ، ويمتاز هذا الكتاب بكثير من الوثائق التي ترجمها المؤلف من التركية الى العربية وقد استقاها من الأرشيف التركي وغيره من المصادر التركية (انظر الوثيقة رقم ٣٠ في ملحق الوثائق لنفس الكتاب) .

٣٢ ـ انظر : ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٢٤١ .

٣٣ ـ انظر : قطب الدين النهروالي ، الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ١٩١ ، وانظر أيضا ، أحمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص ٥١ .

٣٤ ـ انظر : على سبيل المثال ماحدث من حروب بين شريف مكة ووالي جدة في سنة ١٠٧٩هـ وسنة ١١٨٤هـ ومابعدها في كتاب : خلاصة الكلام لأحمد بن زيني دحلان .

٣٥ ـ انظر : د. السيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

٣٦ ـ انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، حوادث شعبان ٩٢٣هـ ج ٥ ص ٢٠٣ .

٣٧ ـ انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج٥ ، ص ٢٦٢ .

٣٨ ـ المصدر السابق ، ج٥ ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٤٢ .

٣٩ ـ المصدر السابق ، ج٥ ص ٣٣٠ .

٤٠ ـ كان حسين الرومي هذا من الأمراء الذين وردوا مع السلطان سليم الى مصر وكانت له وجاهة عند خاير بك والي مصر فولاه نيابة جدة واضاف اليه اليمن .

٤١ ـ انظر : قطب الدين النهروالي ، البرق اليماني ، ص ٣٤ .

٤٢ ـ لم تطل الامور بحسين الرومي في اليمن فلم يزل ان توفى بعد مرض طويل في سنة ٩٣٢هـ ودفن باليمن (انظر المصدر السابق ، ص ٤٢) .

٤٣ ـ المصدر السابق ص ٤٢ ـ ٤٤ .

٤٤ ـ كان سليمان الخادم أحد مماليك السلطان سليم الأول ومن المقربين اليه وظل واليا على مصر حتى غادرها الى العراق للاشتراك في فتح بغداد سنة ١٥٣٤م ثم بدات ولايته الثانية لمصر سنة ٩٤٣هـ واستمر حتى خرج منها على رأس حملة بحرية لفتح اليمن سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) .

٤٥ ـ انظر : د. السيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩ .

٤٦ ـ انظر : أحمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ص ٥٣ .

٤٧ ـ المصدر السابق . نفس المكان .

٤٨ ـ انظر : د. السيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ٤٠٠ .

٤٩ ـ انظر : قطب الدين النهروالي ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، ص ٢٣٣ .

٥٠ ـ انظر : قطب الدين النهروالي ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

٥١ ـ انظر : ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

٥٢ ـ انظر : عبد القادر بن محمد الجزيري ، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠١ ـ ٤١٦ .

٥٣ ـ انظر : عبد القادر بن فرج ، السلاح والعدة في تاريخ جدة ، ص ٢ ، ص ٢٨ .